مواجهة التحدي

ليس هذا الكتاب مؤلفاً علمياً، ولم يكن ذلك هو الغرض منه، فلست في موقع علمي يؤهلني لتقديم حلول اختصاصية جذرية أو غير جذرية في هذا الشأن، لكنني، مثل الجميع غيري، في موقع الضحية لما يحدث على الأرض من تخريب وتدمير. ولعل بعض الحلول، المستوحاة، مهما صغرت، قد تفيد في درء خطر أو إبعاد مرض أو تغيير سبب الموت ولا أقول تأخيره.

كما أن غياب إمكانية الوصول إلى الكمال في البحث في هذا المجال، لا يعني عدم الاقتراب منه أو حتى ملامسة أطرافه.. ولذلك جاء هذا الكتاب متكئاً على ما تقدم من المعطيات العلمية وغير العلمية، والتي تم الاستعانة بها من مراجع هامة وقديرة قدمها علماء كبار واختصاصيين معنيين بالأمر، مع الإدراك التام أن حل المشكلات البيئية يقتضي، أولاً، تحليلاً دقيقاً لها، وأن يبدأ التحليل بتصنيف لأنواع التلف أو الأخطار التي تحدثها البيئة أو تتعرض لها مع وضع مدى إضرارها بالإنسان في الاعتبار، كما لا ينبغي أن تكون الحلول

المنشودة قصيرة الأمد أو محدودة الأفق. بل وينبغي أن تراعى فيها العوامل الاجتماعية والثقافية التي كثيراً ما تكون من المسببات الأساسية لتلك المشكلات.

بالمقابل لا يمكن أن ننكر أن هناك حركة نشطة تغذ الخطى نحو بناء مناهج وبرامج للتربية البيئية حيث بدأ التعليم النظامي يلتفت إلى مشكلات البيئة ويستوعبها في المقررات الدراسية المختلفة. والتربية البيئية تبدأ من مستوى رياض الأطفال وتسير قدماً حتى تغطي باقي مراحل التعليم. لكن، وعلى الرغم من اتخاذ التدابير والإقدام على عدد من المبادرات على الصعيدين الوطني والدولي، فيبدو أنها لا تفي بالمتطلبات أو بالآمال. فالحلول بالنسبة لنا يجب أن تكون محلية وليست مستورد، ولا يجب أن تكون وصفة طبية يقدمها لنا صندوق النقد الدولي. آخذين بعين الاعتبار أن اكتساب التكنولوجيا الغربية يجب أن يسبقه اكتساب القدرة التفاوضية الانتقائية دون فقدان استقلال القرار الوطني، ومن ثم المقدرة على تطويع هذه التكنولوجيا وتكييفها، ومن ذلك التمييز بين الضروريات والكماليات سواء فيما يتعلق بالبيئة أو بالتنمية إضافة إلى امتلاك المتطلبات الضرورية للإنتاج للدخول في

دائرة المنافسة العالمية ـ على صعوبتها ـ لتحقيق الاكتفاء التكنولوجي المناسب محلياً، وبالتالي تحقيق البقاء باستعمال تكنولوجيا ملائمة لنا.

ويكفينا فخراً وأملاً أن لدينا من العقول العظيمة والأدمغة غير العادية ما يؤهلنا للمنافسة العالمية فعلياً، وما علينا سوى تحويل الباحث العلمي من سلعة راكدة أو عمالة زائدة إلى فعالية تقدم الحلول المناسبة بدلاً من الأجنبي القادم بحلوله الجاهزة، وهذا بدوره يستوجب إقامة مركز دراسات خاصة بالبيئة ومشكلاتها.

على الصعيد العالمي:

ـ الانتقال نحو الثورة المسماة: ثورة الطاقة الخضراءThe Green Energy Revolution وتعني الانتقال من حرق الوقود التقليدي (فحم حجري ـ نفط..) لانتاج الطاقة إلى مصادر الطاقة المتجددة: الطاقة الشمسية ـ طاقة الرياح ـ طاقة باطن الأرض ـ بيوغاز..

ـ وقف التدهور القائم للموارد الطبيعية والإلحاح على التنمية المستديمة أي القابلة للاستمرار وللديمومة. حيث ينبغي للإنسان أن يستخدم موارد الأرض بطريقة يمكن معها أن

تنتقل إلى أناس لم يشهد العالم مولدهم بعد. وهذا الإحساس بالمسؤولية تجاه الأجيال المقبلة يمثل جانباً بالغ الأهمية من الوعي بالمشكلات البيئية، ولا يزال الشوط إلى تحقيقه بعيداً

- تقصي تغير المناخ العالمي والمحلي بالمزيد من الدراسات.

- ضبط الانفجار السكاني الحالي في العالم الثالث والعربي..

تحسين المعرفة بالموارد وبدقة.

الحفاظ على أحواض المياه العذبة.

وقف التصحر بكافة الطرق.

- وقف تلوث مياه البحار بالنفط والكيماويات.

- وقف إزالة الغابات ومنع الحرائق بالقضاء على الأسباب.

التعامل العلمي مع النفايات الصلبة والسائلة في المدن.

دور الإعلام في التوعية البيئية:

للجهل أشكال كثيرة، وكلها ينطوي على خطر، ولأن الجهل صنو الفقر في خلق المشكلات الإنسانية، لذلك، كانت وستبقى المعرفة هي الأساس في أي حل ولأي علاج.

وقد اتجهت الجهود الرئيسية في القرنين التاسع عشر

والعشرين نحو التحرر من التقاليد والخرافات في المسائل الكبرى ومن الخطأ في المسائل الصغرى، وذلك بإعادة تحديد ميادين المعرفة، حيث طورت كل مادة جديدة مفردات ومصطلحات متخصصة تتيح سرعة ودقة الإشارة إلى رصيدها المشترك، سريع النمو من الأفكار والاكتشافات. ولم يعد دور الإعلام مقصوراً على جمع الحقائق وبث المعلومات الدقيقة والصادقة بهدف التنوير والإقناع بل غدا أداة سيكولوجية خطيرة تهدد قناعات العقل الإنساني لأنها تدخل كل يوم وكل لحظة في صياغة معلوماته وهيكلة معارفه وتقدم له الجديد على طبق شهي لا يمكن مقاومته بسهولة.وقد طرح السؤال التالي على شريحة واسعة ومتنوعة فجاءت الردود تدل على ضبابية التصور حول مفهوم البيئة:

- ماذا تعني لك البيئة؟

فجاءت الإجابات كما يلي:

- (كل ما يحيط بالإنسان = 70 %)

(المكان الذي نعيش فيه = 12%)

(الأمان والطمأنينة = 4%)

(أساس الحياة ومصدر كينونة الكون إلى البقاء= 6%)

(النجاح والتفاؤل = 8 %).

أمام هذه الإجابات المتباينة يذكرنا عجز النوع البشري عن الاستجابة للطابع الحقيقي لمشكلات اليوم، التي هي مشكلات طويلة الأجل ولا يمكن إدراكها فوراً، يذكرنا بمتلازمة «الضفدعة المغلية» فالبشر من وجهة النظر هذه، يشبهون الضفدعة التي توضع في إناء يحتوي على ماء بارد، ثم يسخن الماء بالتدريج ولا تدرك الضفدعة أن الوقت قد حان للقفز خارج الوعاء إلا بعد فوات الأوان.

وتعتبر مصادر المعلومات أول وأهم مرحلة في التربية الإعلامية البيئية فهي تساعد على ضبط المتغيرات وتمنح فرصة التأثير والفاعلية في المجتمع لذلك بدأت المؤسسات العالمية وخاصة الاجتماعية منها والصحية، تستعين بشخصيات ذات تأثير فعال ومؤثر لدى عامة الناس بشكل خاص، كالفنانين من ممثلين ومغنين مشهورين لهم من الشعبية والآذان الصاغية ما من شأنه أن يعدل دستوراً وغير قانوناً ويقوّم سلوكاً وبالتالي.. يدرأ خطراً. ومن هذه المصادر ذات الأهمية القصوى البرامج التعليمية وتبدأ:

ـ بالاهتمام بخلفية المتلقي المعرفية، الاجتماعية والدينية

ـ توقيت البرامج مرحلية: من تخاطب؟ هل للخطاب علاقة بالعمر ـ العقل ـ البيئة ـ المعرفة ـ الريف ـ المدينة

ـ استثمار الموروث الشعبي ـ الفن ـ البساطة.

وفي مواجهة نقص المياه والأمطار يرى بعض العلماء الاختصاصيين أن:

1. إعادة استخدام المياه الملوثة وتنقيتها لتصبح صالحة للزراعة.
2. ضرورة أخذ التلوث البيئي لدى دراسة أية مشاريع صناعية في العالم الثالث.
3. خفض التلوث الهوائي بحكمة التحكم بمصادر التلوث.
4. منع هدر المياه (مسابح خاصة ـ غسالات آلية ـ تحصيل السعر الفعلي للمياه ـ صيانة الشبكات ـ
5. منع ذهاب مياه الأمطار في الساحل إلى البحر (بناء وإقامة السدود في كل الساحل ـ احتياطي مائي هام جداً.

أما على صعيد النمو السكاني:فالحل مرهون بالتوعية السكانية لوقف الانفجار السكاني والأمر في: الإعلام بكافة أنواعه، والمساجد هي أهم هذه الدور.

يقول عالم الأرصاد الجوية بجامعة استوكهولم ومدير معهد الأرصاد الدولي:

«إن أعظم أنواع الخلل الذي نتعرض لها إنما هي ناتجة

عـن الإنسـان نفسـه، ولا شـك أنـه يعبـث ويتلاعـب بـالتوازن البيولوجي والجيو كيميائي ليؤدي حتماً على أضرار قد تكون قاتلة لنوعه. ولهذا فعليه أن يدرك جيداً مدى الأخطار التي قد تحيق به مستقبلاً».

الخاتمة

إن التفكير في الكون بجمال هو التفكير فيه بجلال، ومعاينته بإجلال. والإجلال صفة من صفات العقل، والعقل هو البينة على كل شيء.

إن الأمر أكبر من أن يصرف بالقول بأن ما صلح لغيرنا يصلح لنا، فالتحدي يظل ضخماً خطيراً،

والذي يجب أن ننتبه إليه أن المتغيرات ستكون من الضخامة والسرعة بحيث لن ينفع معها غير من يكون إعداده على قدر مستواها. والأمر يتعلق بمستقبل أبنائنا وأحفادنا، بل والإنسانية جمعاء..

في الحقيقة لم يعد هناك متسع من الوقت إلا للفعل.. فالطوفان قادم.

المراجع

1. عالم المعرفة العدد 5 العلم ومشكلات الإنسان المعاصر - زهير الكرمي
2. عالم المعرفة العدد 22 «البيئة ومشكلاتها» - رشيد الحمد، محمد سعيد صباريني
3. عالم المعرفة العدد 55 العالم بعد مائتي عام: هيرمان كان وآخرون، ترجمة شوقي جلال.
4. عالم المعرفة: العدد 150 حاجات الإنسان الأساسية (برناج الأمم المتحدة للبيئة) ترجمة عبد السلام رضوان
5. عالم المعرفة العدد 222 البيئة والإنسان عبر العصور - إيان ج. سيمونز ترجمة: السيد محمد عثمان.
6. مجلة «لو نوفيل أوبسرفاتور» العدد / ترجمة محمد جربوعة.
7. فلسفة البيئة ـ هنريك سكوليموفسكي ترجمة ديمتري أفييرنوس
8. عالم الفكر - المجلد الحادي والعشرون - العدد الأول1991. الطاقة النووية.
9. المكتبة العلمية - لايف - الأرض - وليام روبي
10. دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد الثالث عشر- كانون الثاني 1978 - المظاهر البيولوجية لتلوث المياه في

الخليج العربي ـ د. كمال القيسي.
11. عالم الفكر ـ المجلد الخامس ـ العدد الثاني 1974 الطاقة والحياة.
12. التلوث البيئي ـ د. فؤاد الصالح / دار جفرا / دمشق.
13. الثقافة العالمية العدد 80 ـ 1997 (حسناً أين هو؟) روبرت نايي، ترجمة حازم محمود فرج.
14. عالم المعرفة العدد 152 التلوث مشكلة العصر ـ د. أحمد مدحت سالم.
15. الوحدة العدد 84 ـ1991 مشكلة الغذاء في عالم مختل التوازن. رينيه ديمون ـ ترجمة جورج طرابيشي.
16. موسوعة المعرفة المجلد 5
17. البيئة ـ السيد محمد الحسيني الشيرازي / مؤسسة الوعي الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.
18. تلوث الهواء ـ بحث د. عمر عبد الزاق أبو عون.
19. جريدة «البعث» السورية ـ العدد 11607 تاريخ 2001.9.30